

القيم الاخلاقية للامام علي عليه السلام

د علي شكر الحياي

بسم الله الرحمن الرحيم

يشرفني ان اتقدم بهذه الدراسة التي تتضمن القيم الاخلاقية للإمام علي عليه السلام وما نشر من مبادئ عليا في الاخلاق يقف الزمان عاجزا ان يأتي بمثله بعده، حيث كانت الجزيرة العربية تعيش مرحلة التردّي الفكري والاخلاقي فنتشر الشرك والفساد بكل انواعه حتى جاء النبي صلى الله عليه وآله بأخلاقه الكريمة، **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** وكان اول من تربي على هذه الاخلاق سيدنا علي عليه السلام الذي سنتناول في هذا البحث جانبا منها ولا نستطيع ان نحيط بكل جوانبه في بحث قصير كهذا.

سيتضمن البحث بالتعريف بنسب سيدنا الامام علي عليه السلام وولادته ثم التعريف بالقيم الاخلاقية التي كان يتصف فيها الامام علي من الشجاعة الفائقة والكرم وكل الاخلاق الفاضلة فكل القيم الاخلاقية كان لها نصيب في حياة الامام عليه السلام واذا كان لكل انسان نصيب من اسمه فان الامام علي عليه السلام كان نصيبه من اسمه انه علي في القيم الاخلاقية . ارجو منه سبحانه التوفيق واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

د. علي شكر داود السيد الحياي الحسني

الاستاذ المساعد في كلية الاداب

الجامعة العراقية/ بغداد

المبحث الاول

التعريف بالامام علي عليه السلام

نسبه وولادته:

أبو الحسن الهاشمي أمير المؤمنين وأحد السابقين الأولين، فضائله أكبر من أن تحصى ومناقبه أعظم من أن تستقصى^(١)، علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. ويكنى أبا الحسن وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي.^(٢)

وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وأما فاطمة بنت هزم بن رواحة بن الحجر بن عبد بن معيص^(٣)

ثانيا: ولادته

ولد في بطن الكعبة وقد تميز انه لم يولد رجل قبله ولا بعده بهذا المكان المقدس.

ثالثا: نشأته :

نشأ الامام علي عليه السلام في حضانة النبي صلى الله عليه وسلم فعلمه مكارم الاخلاق ، وزوجه الرسول صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة فولدة له الحسن والحسين وزينب وام كلثوم .

١ غاية النهاية في طبقات القراء (١ / ٥٤٦)

٢ الطبقات الكبرى ط العلمية (٦ / ٩١)

٣ تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٢ / ١١)

رابعاً : صفة خلقته :

عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَرُوهَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ:
كَمْ كَانَ سِنَ عَلِيٍّ يَوْمَ قَتْلِهِ؟ قَالَ: ثَلَاثًا وَسِتِينَ سَنَةً. قُلْتُ: مَا كَانَتْ صِفَتُهُ؟ قَالَ: رَجُلٌ
أَدَمٌ شَدِيدُ الْأَدَمَةِ، ثَقِيلُ الْعَيْنَيْنِ عَظِيمُهُمَا، ذُو بَطْنٍ، أَصْلَعٌ، هُوَ إِلَى الْقَصْرِ أَقْرَبُ^(١).
أَبُو الْحَسَنِ أَخُو رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَهْرُهُ عَلِيُّ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ
نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَأَبُو السَّبْطَيْنِ^(٢).

خامساً: منزلته:

لِلْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ وَمَكَانَةٌ سَامِيَةٌ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ وَالْفِقْهِ وَالسِّيَرَةِ وَكَيْفِ
لَا يُحِطُ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ وَهُوَ الَّذِي تَرَبَّى فِي حَجْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِ
الْكَرِيمَةِ .

سادساً: أخلاقه:

كَانَ الْعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ زَاهِدًا وَرِعًا عَابِدًا عِبَادَةَ الشَّاكِرِينَ وَصَابِرًا صَبْرَ الْمُؤْمِنِينَ مَتَوَضِعًا سَمَحًا
مُحِبًّا لِلْخَيْرِ بِكُلِّ أَشْكَالِهِ شَجَاعًا لَا يَهَابُ الْمَوْتَ كَرِيمًا خَطِيْبًا بَلِيغًا بَشَرًا مُحْتَرَمًا
الْآخِرِينَ أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ نَاهِيًا عَنِ الْمُنْكَرِ .

سابعاً : استشهاده

اسْتَشْهَدَ الْعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ٤٠ هَجْرِيَّةً مُوصِيًا وَلَدِيهِ
بِأَنَّهُ يَكُونُ لِلظَّالِمِ خَصْمًا وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا .

١ تاريخ بغداد ت بشار (١ / ٤٦١)

٢ أسد الغابة ط الفكر (٣ / ٥٨٨)

المبحث الثاني

ماهية القيم الاخلاقية

١_ تعريف الاخلاق لغويا :

قال ابن منظور: الخُلق والخُلُق: السَّجِيَّة. يُقَالُ: خَالِصَ الْمُؤْمَنَ وَخَالِقَ الْفَاجِرِ. وَفِي الْحَدِيثِ: لَيْسَ شَيْءٌ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ وَ الْخُلُقُ، بِضَمِّ اللَّامِ وَسُكُونِهَا: وَهُوَ الدِّينَ وَالطَّبْعَ وَالسَّجِيَّةَ، وَحَقِيقَتُهُ أَنَّهُ لِصُورَةِ الْإِنْسَانِ الْبَاطِنَةَ وَهِيَ نَفْسُهُ وَأَوْصَافُهَا وَمَعَانِيهَا الْمُخْتَصَّةُ بِهَا بِمَنْزِلَةِ الْخُلُقِ لِصُورَتِهِ الظَّاهِرَةِ وَأَوْصَافُهَا وَمَعَانِيهَا، وَلَهُمَا أَوْصَافٌ حَسَنَةٌ وَقَبِيحَةٌ، وَالثَّوَابُ وَالْعِقَابُ^(١) وَقَالَ مَرْتَضَى، الزَّيْدِيُّ: الْخُلُقُ، بِالضَّمِّ، وَبِضَمَّتَيْنِ: السَّجِيَّةُ، وَهُوَ مَا خُلِقَ عَلَيْهِ مِنَ الطَّبْعِ، وَمِنْهُ حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ: أَي كَانَ مُتَمَسِّكًا بِهِ، وَبِأَدَابِهِ وَأَمْرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَكَارِمِ وَالْمَحَاسِنِ وَالْأَلطَافِ.

وقال ابن الأعرابي: الخُلُقُ: المُرُوءَةُ، وَالخُلُقُ: الدِّينُ وَفِي التَّنْزِيلِ: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ وَالْجَمْعُ أَخْلَاقٌ، لَا يُكْسَرُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَفِي الْحَدِيثِ: لَيْسَ شَيْءٌ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَحَقِيقَتُهُ أَنَّهُ لِصُورَةِ الْإِنْسَانِ الْبَاطِنَةَ، وَهِيَ نَفْسُهُ وَأَوْصَافُهَا، وَمَعَانِيهَا الْمُخْتَصَّةُ بِهَا بِمَنْزِلَةِ الْخُلُقِ لِصُورَتِهِ الظَّاهِرَةِ^(٢).

٢_ تعريف الاخلاق اصطلاحاً:

الأخلاق هي الصفات النفسية التي نحدد على ضوءها كيف ينبغي أن نكون، وكيف نتصرف ونتعامل في حياتنا الاجتماعية، وكيف يتصرف بعضنا مع البعض الآخر. فالإنسان الفرد لا يعيش وحده في هذه الحياة، فهو بطبيعته اجتماعي

^١ لسان العرب (١٠ / ٨٦)

^٢ تاج العروس (٢٥ / ٢٥٧)

يعيش ضمن مجتمع يحثك فيه بالآخرين، والقيم الأخلاقية بالإضافة على كونها كمالاً على المستوى الشخصي، لا بد منها أيضاً لكمال المجتمع وتحسين العلاقة بين الافراد، ومن هنا فلا بد من تحديد هذه القيم على ضوء العقل والشرع ثم الالتزام بها وتطبيقها على المستوى العملي. وإذا ما التزمنا بالقيم كانت السعادة الفردية والاجتماعية، في الدنيا والآخرة. وليصل الإنسان إلى السعادة لا بد أن يلتزم بمجموع القيم، لأنها نظام متكامل يكمل بعضه بعضاً.

٣_تعريف القيم الاخلاقية :

وتصدر القيم الأخلاقية حيزاً مهماً في حياة الإنسان، وبالتالي شغلت مساحة عريضة من بحث المفكرين والمهتمين بالجوانب الإنسانية والاجتماعية عبر التاريخ. ولتحديد مفهوم القيم بالمعنى العام نستعرض رؤى متعددة، عرّف جيمس فيري القيم "بمجموعة من المعايير التي يضعها المجتمع ويلزم بها الأفراد"، ويضيف روبن وليامز أن "مفهوم القيم يتضمن عناصر متعددة ترتبط بالشعور والعاطفة، وأن القيم ذات تأثير مباشر على سلوك الأفراد وأفعالهم، بل هي في الواقع الدافع وراء كل سلوك" ويرى عبد اللطيف خليفة أن القيم انعكاس للأسلوب الذي يفكر به الأفراد في ثقافة معينة، وفي فترة زمنية معينة، كما أنها هي التي توجه سلوك الأفراد، وأحكامهم واتجاهاتهم فيما يتصل بما هو مرغوب فيه، أو مرغوب عنه من أشكال السلوك في ضوء ما يضعه المجتمع من قواعد.

فالقيم عبارة عن نظام معقد يتضمن أحكاماً تقويمية إيجابية أو سلبية مقبولة أو مرفوضة نحو الأشياء أو الأفعال أو حتى نحو الأشخاص، وبذلك فالقيم تعكس أهداف الإنسان واهتماماته الذاتية كما تعكس حاجات النظام الاجتماعي والثقافي الذي يعيش الإنسان فيه، أو الذي تحدر منه .

فالشرائع السماوية هي رسالة الله للإنسان، وهي تقوم على أساس أن الله تعالى لم يخلق الإنسان عبثاً ولم يتركه سدى، وإنما لغاية محددة معلومة، وبالتالي أرسل له الرسل والأنبياء وأنزل عليهم الكتب والشرائع، التي توضح لهم ما هو مطلوب منهم ليحققوا غايتهم.

إن المجتمع الإسلامي يرى قيمة الأخلاقية منطلقاً من المصادر الإسلامية التي توارثها عبر مراجعته الأساسية، ومرجعياته الإسلامية سواء الممتدة عبر التاريخ أو المعاصرة له، فيشكل من تلك المصادر منظومة قيمية متعددة الاتجاهات يحتكم إليها ويرى نفسه بمقدار التزامه بها، ومنظومة القيم كما يراها عبد اللطيف خليفة هي "مجموعة القيم المترابطة التي تنظم سلوك الفرد وتصرفاته، ويتم ذلك غالباً من دون وعي الفرد، وتعبير آخر هي عبارة عن الترتيب الهرمي لمجموعة القيم التي يتبناها فرد أو أفراد المجتمع، ويحم سلوكه أو سلوكهم دون وعي.

فأخلاق الإنسان في نظر المجتمع ببساطة إما أن تكون صالحة أو شريرة، وعلى أساس صلاحها من عدم يتحصّل نتيجة لها الثواب أو يكون العقاب، وربطت الديانات بين خوف الله والخلق الكريم ليكون طريق الجنة من خلالهما، وجاء الأنبياء عموماً ليحققوا مكارم الأخلاق، وبذلك فقد توثقت العلاقة بين القيمة الأخلاقية والمعتقد الإسلامي لكون المعتقدات الإسلامية في الأساس توجيهية مباشرة، ولكون المعتقدات الإسلامية متمركزة في توضيح ما يتعلق بما هو حسن أو سيء، وما هو حقيقي أو مزيف، وما هو مرغوب أو غير مرغوب، وذلك لأن الإنسان الذي يحتكم في قناعاته لما هو حسن وقبيح لمصادره الإسلامية يجعل من التوجيهات التي يرجع إليها، وتمثّل قناعاته منظومة قيمية يراها كاملة وبالتالي يرى نفسه متجهاً إلى الكمال بها، و من ثم يحكم على مجتمعه من خلالها، فيقيم الآخرين من تلك المنطلقات، ويحكم مجتمعه على أساسها، من ذلك تكمن أهمية دراسة القيم العامة بشكل تفصيلي لكل قيمة وبإطار شمولي يجمع كل تلك القيم بإطار مشترك لتكتمل الصورة في ذهن المتبني لمنظومة القيم، وبالتالي يصبح حكمه على نفسه بداية صائباً،

وعلى المحيطين به ومن ثم على مجتمعه الصغير والكبير في هذا العالم، أي على الآخر الذي هو غيره، بشكل صائب أيضا.

لقد أظهرت تعاليم الإسلام ذلك في صورة واضحة وبيّنت ما يربط الحياة الدنيا بالآخرة، وما لهذا الارتباط من شأن في تقويم الأفعال والأعمال والحكم عليها، فالحسن والمباح والجيد ما وافق الشرع واستجوب الثواب والسيئ والقبيح والمحرّم ما خالف الشرع وترتب عليه العقاب في الآخرة فأعمال الدنيا مقومة حسب نتيجتها في الآخرة وقيمة الأشياء من حيث ما يحصله الإنسان من حسن الأفعال أو قيمها. إن الأخلاق الإسلامية لم تدع جانبا من جوانب الحياة الإنسانية روحية أو جسمية، عقلية أو عاطفية، فردية أو جماعية إلا رسمت له المنهج الأمثل في السلوك الرفيع، فما فرقه الناس في مجال الأخلاق باسم الدين وباسم الفلسفة وباسم العرف أو المجتمع قد ضمه القانون الأخلاقي الإسلامي في تناسق وتكامل وزاد عليه، وتجب الإشارة هنا على أن القيم الإسلامية تتماز عن غيرها من القيم الفلسفية بتقديمها من خلال النموذج، والتطبيق العملي، فالأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه كانوا منتظمين ضمن السلوكيات المحكومة للقيم التي نادوا بها، وبالتالي فأتباع هذه الديانات لم يكونوا يتلقون توجيهات نظرية فقط، بقدر ما كانوا يرونها مطبقة بشكل كامل في أنبيائهم و بصورة كبيرة في ال البيت والصحابه .

المبحث الثالث

تأثير القيم الأخلاقية والمثالية لرسول ﷺ في ال بيته الاظهار

لقد تمثلت في شخصية الرسول ﷺ العظيمة سمات رجل مبدئي، قائد صبور، مجاهد، مستقبلي النظرة، مدبر، محنك السياسة، عارف بما تتطلبه المواقف، وزاده القرآن الكريم قيماص ومثلاً ومبادئ أخلاقية، تمسك بها في تعامله وسنته مع صحابته، ودعا إليها، وربى عليها جيله الذي كان حوله، فكانوا خير جيل على الأرض، الجيل الذي قال فيه رسول الله ﷺ: ((خير القرون قرني ثم الذين يلونهم... الحديث))^(١)

لقد سئلت عائشة^(٢) -رضي الله عنها- عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: ((كان خلقه القرآن)). وإنما أرادت عائشة بذلك ما كان في رسول الله ﷺ من مثل وقيم شرعها الله ﷻ لعباده المؤمنين في كتابه العظيم في كل مجالات الحياة، كالتعاون على البر والتقوى، وترك التعاون على الإثم والعدوان ومعصية الله ورسوله، والنهي عن التجسس والتنايز بالألقاب وأكل مال اليتيم، إلى غير ذلك مما أمر القرآن الكريم به، وما نهى عنه، فكان ذلك كله قد تحقق في سلوك النبي ﷺ وطبّقه في الواقع، فكان الأسوة الحسنة والقدوة المثلى في الأمة، فكان الرسول ﷺ قرآناً بين الناس.

المبحث الرابع : خصائص رسالته ﷺ:

(١) وفيه روايات يمكن الرجوع إليها في جامع الأصول: ٥٠/٨ وهو من رواية أبي

هريرة رضي الله عنه.

(٢) السائل هو سعيد بن هشام، سألها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت له: ((كان خلقه القرآن، الست تقرأ القرآن، قد أفلح المؤمنون)) والحديث أخرجه مسلم من رواية زرارة بن أبي أوفى عن سعد، وفيه قصة. انظر الكشاف: ٥٨٥/٤ ؛ حاشية الكشاف: مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف لمحمد عليان.

المثل الأخلاقية في الرسالة الإسلامية مقصودة لذاتها، فضلاً عن أنها رسالة قدمت نظاماً متكاملًا وتشريعاً دقيقاً في تنظيم حياة البشر، وعلاقاتهم مع الله تعالى، وبعضهم مع بعض في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية، والعلوم وسائر الأمور الأخرى التي لها صلة بحياة الإنسان على الأرض.

فالنبي الكريم يقول: ((إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق))^(١) فقرن بين (بعثته للناس) و(مكارم الأخلاق) وقصر ب(إنما) لينبه ﷺ على أهمية هذه البعثة الكريمة من لدن حكيم عليم إلى رجل من أوساط الناس في مكة المكرمة جمع بين الخصائل الشريفة، والآصال العريقة، والهمة العالية ما لم يجمعها رجل آخر في أم القرى - يومئذٍ - فهو خيار من خيار من خيار.

فبعثته مقرونة بتقييم مكارم الأخلاق التي كان العرب يفتخرون بها، من النجدة والكرم، والوفاء بالعهد والصدق، وحماية الجار، وحفظ الأمانة، وقد أكدت أحاديثه ﷺ هذه المثل والقيم والمكارم ودعت إليها، ورغبت فيها، وقرنت الإتيان بها والاتصاف بمبادئها وتطبيقها في حياة المسلم، بنيل الأجر والثواب من الله تعالى، فأصبحت جزءاً من تمام دين المرء وعقيدته، فهو يقوم بتنفيذها في سلوكه وعمله، رغبة في الأجر وحسن العاقبة، في حين كانت هذه الصفات الخُلقية في غير المسلمين، كالأوروبيين -مثلاً- عادة، لا يكتسب تاركها إثماً، ولا تجلب لفاعلها نوايا حسنة، ومن هنا كانت القيم والمثل الأخلاقية في العقيدة الإسلامية جزءاً متمماً لشخصية الفرد المسلم، وحسن سلوكه وصحة معتقده، فالإخلال به إخلال ببنائه وتكوينه، وتأكيداً في السلوك والمنهج، تأكيد اكتماله، وصحة نهجه.

(١) الحديث في فضائله ﷺ لرواية أبي هريرة. انظر: جامع الأصول: ٥٣٠/٢، وفي رواية ((لأتمم محاسن الأخلاق)) برواية مالك بن أنس: ج ٤، ص ٤ وانظر: ٥٣٤/٨ من الجامع.

المبحث الخامس : التكوين الأخلاقي في بناء قواعد الفرد والمجتمع الإسلامي

ولو نظرنا إلى حديثه ﷺ الذي يدعو إلى وحدة جسم الأمة وتلاحمها في بناء متكامل رايناه يبنيه على ثلاث صفات كفيلة بقوة بناء المجتمع الإسلامي، ومثانة روابطه. فالرسول ﷺ يقول: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم، وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))^(١).

فالحديث يبني جسد الأمة الواحد على ثلاث قواعد هي:

١-التواد

٢-التراحم

٣-التعاطف

وفي هذه القواعد الثلاث وردت أحاديث تؤكد قيمتها الكبيرة في تنظيم المجتمع الكبير، والمجتمع الصغير، والعلاقات الفردية.

وقبل أن نتناول هذه الركائز الثلاث بشيء من التحليل نلفت الانتباه إلى الصورة التي رسمها النبي ﷺ للمجتمع الذي يبني على أسس التراحم والتعاطف والتواد، إنه جسد واحد، تتعاون أعضاؤه جميعاً على أداء المهمات الموكلة بها، كاليدين والرجلين، والعينين، والأذنين، والفم، واللسان، وسائر الأعضاء الأخرى، إنها كلها تخدم هذا الجسد الواحد وتعيّنه على مواصلة الحياة، بصحة وعافية ووعي وثقة، وتتربط بوشائج وصلات متماسكة في داخل البنية، بحيث لو أصيب واحد منها باذى تداعت له الأجزاء الأخرى، وانتفضت، وبقيت في قلق وأذى حتى ينجلي ذلك الأذى.

(١) الحديث روي في البخاري: ٣٦٦/١٠ ومسلم: ٢٥٨٦ وغيرهما، مع اختلاف يسير في اللفظ سنذكره في موضع آخر في هذا البحث.

لو أحسَّ المرء بألم شديد في ضرس من أضراسه سرى هذا الإحساس بالألم في سائر الجسد، فحُرِمَ النوم، والراحة، وتناول الطعام، وشرب الماء البارد، وتعب الجسد كله من جرّاء ذلك، حتى يعالج موضع الألم، ويرجع الجسم سليماً معافى، إنه جسد واحد تركبت أجزاؤه تركيباً متماسكاً مترابطاً، لا يمكن الفصل بين هذا الجزء وذاك، كذلك حال الأمة التي يسودها التعاون والتراحم والتواد والتعاطف، إنها أسس وركائز تقوم عليها، فإن تهدم واحد من هذه الأسس، تخلل البنيان، واضطرب كيانه، وتصدعت أعمدته، ولذلك يحرص النبي ﷺ على أن يكون مثل المؤمنين في التراصّ والوحدة والقوة، كمثّل الجسد الواحد، وأن تبقى مُثُلُ (التواد) و(التراحم) و(التعاطف) هي المنظمة للحياة الدائمة، المادة الحيوية والنشاط، والحركة والبناء.

ولقد روي الحديث المذكور بلفظ: ((مثل المؤمنين كرجل واحد)) وبرواية أخرى: ((مثل المسلمين كرجل واحد)) وتشبيه المجتمع بالرجل الواحد أشدّ أسراً بالصورة المعبرة عن متانة البناء، وقوة تماسكه، وتواصل أجزائه.

والذي يتأمل هذه القيم الثلاث: ((التواد والتراحم والتعاطف يجد أساسها واحداً، وهو (الحب) والأحاديث في الحب لا تحصى منها قوله ﷺ: ((إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض))^(١) وفي الحديث تفسير لهذا الحديث بقوله تعالى. (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) ٢

والحب يؤلف بين القلوب، ويجمع بين الناس المتحابين، وقد ورد عنه ﷺ، في الحب منها: ((أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: وما أعددت لها؟ قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله. فقال: أنت مع من أحببت)) قال أنس ﷺ: فما فرحنا بشيء فرحتنا بقول النبي ﷺ: ((أنت

(١) البخاري: ٣٨٧/٣ ومسلم: ٢٦٣٧ والموطأ: ٩٥٣/٢ والترمذي: ٣١٦٠.

(٢) سورة مريم: الآية ٩٦

مع من أحببت، قال أنس: وأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر. وأرجو أن أكون بحبي إياهم وإن لم أعمل أعمالهم))^(١)

وفيما يأتي نتناول الركائز الثلاث في الحديث، لنقف عندها قليلاً.

أولاً: التواد

أصلها: التوادد. مصدر على التفاعل، أدغمت الدال في الدال، مثل: التضام، والتضاد.

ومصدر الثلاثي: وَدَّ الشيءَ وَدًّا. ^(٢). ووداداً، ووداً، وودادة، وودادا، ومودَّةً، ومودِّدةً: إذا أحبَّه.

ولا يكون الودّ إلا في معنى الخير، مقصوراً عليه. نقل ابن منظور في معنى الود: (الحبّ، يكون في جميع مداخل الخير)^(٣).

ويحمل في بعض دلالاته التمني، وقد أنشد الفراء في هذا المعنى قول الشاعر:

وَدِدْتُ وَدَادَةً لَوْ أَنَّ حَظِّي مِنَ الْخِلَانِ أَنْ لَا يَصْرِمُونِي

وجاء في هذا المعنى قوله تعالى: **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**^(٤) والمعنى: يتمنى.

والذي يبدو أن الأمنية ملازمة للدلالة العامة لجذر المادة (ودد)، فهو حب ممزوج بأمنية الخير لمن تودّ من الناس، وفي اللسان بعد أن نقل تفسير: (وَدِدْتُ

(١) البخاري: ٤٦١/١٠ و٤٦٣ ومسلم: ٢٦٣٩ و٢٩٣٥ وأبو داود: ٥١٢٧ والترمذي: ١٣٨٦ مع اختلاف في الألفاظ.

(٢) وتأتي واوها في ثلاثة وجوه: وُدّ بالضم، وودّ بالكسر. وودّ بالفتح.

(٣) اللسان: (ودد): ٤٦٨/٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ٩٦

الشيء أودُّهُ) قال (وهو الأمنية)^(١) وقال ابن فارس: (ودِدْتُ أَنْ ذاك كان، إذا تمنيته، ووددتُ الرجل: أحببته، أودُّ فيهما جميعاً)^(٢).

فالودّ -إن- هو الحب وتمني الخير لمن تحب، وعلى هذا يكون (التواد) بين الأخوين تبادل الحب بينهما وتمني الخير من كل واحد منهما لأخيه.

من أهم صفات (الودود)

لقد جاء في صفات الله ﷻ (الودود)، قال الأزهري في التهذيب: (الودود من أسماء الله الحسنى: المَحِبُّ لعباده. فعُول بمعنى: مفعول من الوُد : المحبة، فالله تعالى مودود في قلوب أوليائه، أو هو فعول بمعنى (فاعل) أي: يحب عباده الصالحين، بمعنى: يرضى عنهم)^(٣).

فالتوادُّ بين المؤمنين سبب متين من أسباب الربط وشدّ الوشائج والتلاحم بينهم، لأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويتمنى له الخير دائماً. فإذا توافرت هذه الصفة الكريمة في خلق المؤمن كانت كفيلاً بتأليف القلوب واستمالة بعضها إلى بعض، والأرواح كما يقول الحديث ((أرواح جنود ما تعارف فيها ائتلف وما تناكر منها اختلف))^(٤). وإذا تم التعارف والتآلف بين قلوب المتوادين زالت الفوارق بينهم، وسعى كل واحد منهم في مصلحة أخيه وتحقيق ما يريد تحقيقه لنفسه وللجماعة من خير وإحسان وبر.

ومن هنا كان (التواد) ركناً قوياً من أركان شدّ أواصر الأمة الواحدة ومثانة بنائها، وعزة أبنائها، وعلو مكانتهم بين أمم الأرض.

(١) اللسان: (ودد).

(٢) المجمل: ابن فارس: ٩١٢/٣ (كتاب الواو: ود).

(٣) تهذيب اللغة: الأزهري: (ودّ) واللسان: (ود).

(٤) البخاري: ٦٢/٦ ومسلم: ٢٦٣٨ وأبو داود: ٤٨٣٨.

والتواد ينفي في المسلم صفتين مذمومتين، بعيدتين عن خلقه، أنه: ((لا يظلمه ولا يُسلمه)). وأراد الحديث الذي روي في باب التعاضد والتواد والتساعد من كتب الحديث وهو: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه))^(١) أنه لا يصدر منه ظلم لأخيه ما دام يودّه ويميل إليه. ويرغب في مصاحبته، ولا يُسلمه، أي: لا يخذله إذا ما اعتدى عليه معتد، لأنّ إسلام الأخ لأخيه هو عدم حمايته من أخيه وإلقاؤه في التهلكة،^(٢) وليس ذاك من خلق المسلم الواد المحب.

فالمتوادون يحمي بعضهم بعضاً، ويعين بعضهم بعضاً، ومن هنا كان (التواد) من أول ركائز الحديث: ((مثل المؤمنين في توادهم...))^(٣) في بنية الخلق في الفرد، ومن ثم بنية المجتمع كله الذي يصبح كالجسد الواحد، أو الرجل الواحد كما روي عن مسلم والبخاري: ((المؤمنون كرجل واحد، إذا اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) وفي رواية لمسلم: ((المسلمون كرجل واحد...))^(٤).

ثانياً: التراحم

مصدر الفعل (تراحم) الخماسي على زنة (تفاعل) وثلاثية (رحم) الذي يحمل دلالة (رَفَّ) و(عَطَفَ): لذلك قال اللغويون (الرحمة: الرقة والتعطف)^(٥) وقالوا: (رحمه رحمةً إذا رَقَّ له وتعطف عليه) (والمرحمة والرحمة بمعنى واحد).

ألفاظ تشترك في المعنى

-
- (١) أبو داود: ٤٨٩٣ والترمذي: ١٤٨٦.
(٢) هذا فسرّه ابن الأثير في جامع الأصول: ج ٦ ص ٥٦١.
(٣) الحديث المذكور وفيه روايات، ينظر: جامع الأصول: ٥٤٦/٦-٥٤٧.
(٤) البخاري: ٣٦٦/١٠ ومسلم: ٢٥٨٦ في باب تراحم المسلمين وتعاطفهم.
(٥) المجلد: ابن فارس: ٤٢٤/٢ وأساس البلاغة للزمخشري: ٣٢٩ ومختار الصحاح للرازي: ٢٣٨ واللسان: ١٢١/١٥-١٢٢.

ولعل الصلة بين (الرحم) وهو منبت الولد في بطن المرأة والفعل (رحم) تتضح الآن من دلالاتي الرقة والتعطف؛ إذ أن الرحم رقيق الغشاء متلطف بالجنين الذي في داخله، محافظ عليه حتى ينمو ويكون طفلاً تام الخلق، فيخرج منه إلى الدنيا عند الولادة، فالجنين في حفظ ورقة وتعطف حتى موعد خروجه.

وهذه الدلالة -أعني التعطف والرقّة- وما ينطوي تحتها من دلالات هامشية يفرضها الاستعمال والسياق، لا تخرج على دائرة العطف والرعاية والحفظ، والرقّة والعناية والاهتمام فجاءت الآيات والأحاديث تدور في هذه الدلالات، معبرة عن الواقع الاجتماعي للمسلمين، قال تعالى: **وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ** ^(١)، أي: أوصى بعضهم بعضاً برحمة الضعيف والتعطف عليه، وقال تعالى: **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ^(٢) أي: عطفاً.

وقالوا في مكة: (أم رُحْم). وقال تعالى: **فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رُحْمًا** ^(٣)

والأحاديث في الرحمة والتراحم كثيرة جاءت تؤكد الدلالات التي تقدمت في صفات المؤمنين، وتحت على التزامها والتعامل بها، قال النبي ﷺ: ((الراحمون يرحمهم الله ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شجنة من الرحمن، فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله)) ^(٤). و(الشجنة) -بضم الشين وكسرهما- القرابة المشتبكة كاشتباك العروق في الجسد الواحد. ^(٥)

(١) سورة البلد: من الآية ١٧.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٣) سورة الكهف: من الآية ٨١، وانظر تفسير البحر المحيط: ١٥٥/٦.

(٤) رواه الترمذي عن عبد الله عن عمرو بن العاص ﷺ: ١٩٢٥ وأبو داود: ٤٩٤١ وروي في

مجمع الزوائد: ١٨٧/٨.

(٥) انظر: جامع الأصول: ابن الأثير: ٥١٦/٤.

وقال ﷺ: ((لا تُنَزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ))^(١).

وفي الحديث: ((لا يرحم الله من لا يرحم الناس)) رواه جرير بن عبد الله رضي الله عنه.^(٢)
وفي الحديث -أيضاً-: ((إن الله مائة رحمة أنزل جزءاً واحداً منها إلى الأرض، ومن هذا الجزء: ((تتراحم الخلائق)) وفي رواية: ((أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، بها يتعاطفون، وبها يتراحمهم، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة))^(٣).
وفي رواية مسلم -أيضاً-: ((فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض ...))^(٤).

والذي نستأنس به من خلال هذه النصوص أن الرحمة والتراحم مقرونتان بالعطف والتعاطف، وأنها بين الخلائق جميعها إنسها وجنها، أليفها ونافرها: ولذلك كانت الرحمة تشمل الحيوان والرفقة به، والعطف عليه، كما في الحديث: ((دخلت امرأة من النار في هرة حبستها ..))^(٥).

ومما لا شك فيه أن هذه الصفة السامية في خلق المسلم تمثل أعلى ما اكتسبه الإنسان من المثل والقيم في تهذيب نفسه وتربيتها وقوامه سلوكها، ذلك أن هذه الصفة من صفات الخالق -سبحانه- .. فهو (الرحمن) الذي هو غاية ما يكون عليه من الرحمة بحيث لا يجوز أن يتصف بها غيره -سبحانه-، ولذلك قال اللغويون:

(١) الترمذي: ١٩٢٤ وأبو داود: ٤٩٤٢.

(٢) البخاري: ٣٠٣/١٣ ومسلم: ٢٣١٩ والترمذي: ١٩٢٣.

(٣) البخاري: ٣٦٢/١٠ ومسلم: ٢٧٥٢ والترمذي: ٣٥٣٥ و٣٥٣٦.

(٤) مسلم: ٢٧٥٣.

(٥) صحيح البخاري: ٣٥٤/٦ ومسلم: ٢٣٤٢.

((إن فعلان هو من أبنية المبالغة في وصف الله -تعالى- فالرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، فلا يجوز أن يقال: رحمن لغير الله))^(١).

وهو (الرحيم) الذي تصدر منه الرحمة على عباده، فهو راحم، وذلك واضح من قوله تعالى: هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا^(٢)

وقد فسّر ابن عباس رضي الله عنه: (الرحمن الرحيم) بأن الرحمن هو الرقيق، والرحيم هو العاطف على خلقه بالرزق.^(٣) ولذلك جاز أن يوصف الإنسان الذي يمتلك صفة (الرحمة) ويعطف على أخيه ويرق له ويرعى مصالحه بأنه (رحيم). وقد وصف النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بأنه: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ^(٤).

والرحمة إن كانت بين اثنين كانت تراحمًا، أي: غير مقتصرة على واحد منهما، وإن كان المجتمع كله متراحمًا كان ذلك أحلى صورة من صور التكافل والتعاون والتآزر والترابط. لذلك كان الحديث على هذا التشارك في الرحمة حين قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وتراحمهم).

ونص اللغويون في أمثلتهم على: (تراحموا) و(المؤمنون متراحمون)، و(تراحم القوم).^(٥)

(١) اللسان: ١٥/١٢٢.

(٢) سورة الأحزاب: من الآية ٤٣.

(٣) اللسان: ١٥/١٢١.

(٤) سورة التوبة: من الآية ١٢٨.

(٥) أساس البلاغة: رحم، واللسان: ١٥/١٢١، والمجمل: ٤٢٥، والمختار: ٢٣٨.

ثالثاً: التعاطف

مرّ معنا في شرح معنى (التراحم)، أن: (التعطف) يحمل جزءاً من أجزاء دلالة (الرحمة)، ففي كتب اللغة: (استرحمته: استعطفته)) و(الرحمة: الرقة والتعطف) وفسّروا قوله تعالى: **ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ** (١): أوصى بعضهم بعضاً برحمة الضعيف والتعطف عليه، وقوله تعالى: **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** (٢)، أي: عطفاً، و(رحمه يرحمه، غذا رق له وتعطف عليه) (٣).

فهي ألفاظ مشتركة: فاللقاء بين (الرحمة) و(العطف) قوي، وبينهما أصرة واضحة، وهي الميل إلى أخيك ترق له وتعينه وتتجده وتشد أزره، وذلك أن العطف من أصل اللغة لا يخرج عن معاني الميل، والثني على الشيء، يقول ابن فارس: (العطف: عطفك الشجرة وغيرها، وعطف فلان: مال، وعطفت الوسادة: تثيتها، وعطفنا كل شيء: جاتبناه، وثنى فلان عني عطفه، إذا أعرض عنك، وما تثنييني عطفك عاطفة من رحم ولا ترابة وطبيبة عاطف: تعطف جيدها إذا ربضت، والقوس المعطوفة هي هذه العربية، والناقة العطواف: هي التي تعطف على البر فتراًمهُ، والعطاف: الرداء..) (٤).

ولم يرد من مفردات (عطف) في القرآن الكريم سوى قوله تعالى: **ثَانِي عِطْفِهِ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ** (٥)، وجاء

(١) سورة البلد: من الآية ١٧.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٣) لسان العرب: ١٢١/١٥-١٢٢ والمجمل: ٤٢١/٢ - .

(٤) المجمل: ٦٧٤/٣ (عطف).

(٥) سورة الحج: من الآية ٩.

في معنى هذه الآية أقول، يقول الزمخشري (٥٣٨هـ): (وثني العطف: هو عبارة عن الكبر والخيلاء، كتصغير الخد، وليّ الجيد، وقيل: عن الإعراض عن الذكر.

وعن الحسن -رحمه الله-: ثاني عطفه: بفتح العين، أي مانع تعطفه.^(١)

من خلال ما تقدم من دلالات (العطف) يتجمع لدينا معاني الإشفاق، والميل والثني، وجانب الشيء، وضحنائه، ومن مجامع هذه المعاني نستدل على أن (التعاطف) على زنة (التفاعل) من الفعل (تعاطف) هي التشارك في الإشفاق والرحمة، ولذلك قالوا في: (عطف عليه: أشفق، وتعطف عليه: اشفق، وتعاطفوا: عطف بعضهم على بعض)^(٢).

لقد رأينا فيما تقدم أن التعاطف مقرون بالتراحم، وأن حديثه ﷺ يفسر هذا الاقتران، وهو أن الله مائة جزء من الرحمة، أنزل جزءاً منها إلى الأرض، ومن هذا الجزء الرحمة بين: (الجن والإنس والبهائم والهوام، بها يتعاطفون وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها)^(٣)

فالمسلمون يتراحمون ويتوادون، ويُشفق بعضهم على بعض، وبذلك تتوافر في أخلاقهم: (الود) وما ينطوي تحته من الحب، و(الرحمة) وما ينطوي تحتها من معاني الإعانة والإغاثة والرقّة والحنان، و(العطف) وما ينطوي تحته من الإشفاق والميل والرغبة.

وهي مثل عليا في النسيج الاجتماعي، وممتانة العلاقات والترابط بين افراد المجتمع الواحد.

(١) الكشاف: ١٤٦/٣.

(٢) مختار الصحاح: ٤٤٠ (عطف).

(٣) البخاري: ٣٦٢/١٠ ومسلم: ٢٧٥٢ والترمذي: ١١٢٣.

فتوافرها يعني توافر الخصائص المميزة في صلابة المجتمع وقوة تماسكه، وتخلخلها يعني تخلخل النسيج وهلهته، ومن ثم تخلخل اللبنة التي تسهم في قوة بنائه، ولذلك يقول الشاعر:

وليس بعامرٍ بُنيانُ قومٍ إذا أخلاقهم كانت خرابا

ويقول:

إنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتُ فإن ذهبَتْ هم أخلاقهم ذهبوا^(١)

رجال الأمة هم مستودع الأخلاق والقيم، وبهم تُقام الدول، وإليهم يرجع في الأمور الجسام، وتشرق البلاد بوجودهم، وينتظم المجتمع بحسن سلوكهم:

لعمرك ما ضاقت بلادٌ بأهلها ولكنَّ أخلاقَ الرجالِ تضيقُ

والإنسان اللبنة في بنية المجتمع، جزء مهم في إعلاء بنائه وقوة صرحه، وهذه اللبنة إذا لم تكن سالحة، لم يكن البناء مأموناً، ولا كانت عواقبه سليمة، ولذلك ينظر المربون إلى أهمية بناء الشخصية الفردية على القوامة وحسن الخلق، وتهذيب النفس:

عليك نفسك هذبها فمن ملكت قيادَهُ النفسُ عاش الدهر

مذموما

ويريدون بتهذيب النفس، تغذيتها بالمبادئ والقيم والمثل الأخلاقية التي تحد من جموحها ورغائبها، ولذلك يقول أبو ذؤيب:

والنفس راغبةٌ إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليلٍ تقنع^(٢)

(١) القائل لكلا البيتين هو أحمد شوقي.

(٢) ويقول البوصيري: والنفس كالطفل إن ترضعه شبَّ على حبِّ الرضاع وإن تقطمه يفظم

وليست النفس البشرية في طبيعتها إلا واحدة من ثلاثة أصناف ذكرها القرآن الكريم:

١- النفس الأمارة، قال تعالى: وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)

٢- النفس اللوامة، قال تعالى لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢)

٣- النفس المطمئنة، قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٣)

فالنفس الأمارة، أراد بها جنس النفس البشرية، اي: (إن هذا الجنس يأمر بالسوء، ويحمل عليه ما فيه من الشهوات)^(٤)، ولذلك قال تعالى بعد هذا الجنس من النفس وأراد سبحانه: (وإلا البعض الذي رحمه الله بالعصمة، كالملائكة..). وقال المفسرون في معنى ذلك أن يكون (ما رحم) في معنى الزمن، أي: إلا وقت رحمة ربي، يعني: أنها أمارة بالسوء في كل وقت وأوان إلا وقت العصمة، فهذه النفس هي التي تحتاج إلى التهذيب والدرية، وهي التي يصدق عليها قول أبي ذؤيب السابق.

أما النفس اللوامة، فقد اختلف علماء التفسير في معناها، فقد ذكر أنها (النفس المتقية) التي تلوم النفوس في يوم القيامة على تقصيرهن في التقوى أو بالتالي لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإنسان.

وعن الحسن: إن المؤمن لا نراه إلا لائماً نفسه وأن الكافر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه.

(١) سورة يوسف: من الآية ٥٣.

(٢) سورة القيامة: الآيتان ١ - ٢.

(٣) سورة الفجر: الآيتان ٢٧ - ٢٨.

(٤) الكشاف: ٤٨٠/٢.

وقيل هي التي تتلوم -يومئذ- على ترك الازدياد إن كانت محسنة وعلى التفريط إن كانت مسيئة.

وقيل: هي نفس آدم عليه السلام لم تنزل تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة. (١)

وهذه الآية تكشف عن نفس، مزيتها أنها تقيه محسنة مؤمنة مهدية تختلف عن النفس الأمارة. وهي نفس تلوم سائر الأنفس حين تجد تقصيراً أو ضعفاً أو انحداراً في سبيل السلام والنور فهي تعذل وتعتب وتلوم.

وأما الثالثة فهي النفس الامنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن، وقد وصفها الله تعالى بـ(المطمئنة) (لأنها تطمئن إلى الحق واليقين فلا يخالجها شك) (٢)

وهذه النفس والتي قبلها، هي النفس التي أخذت من التهذيب والتقويم والتربية وصحة الاعتقاد ما جعلها ممدوحتين بالصفتين التي ذكرهما القرآن بـ(اللومة) و(المطمئنة)، في حين كانت النفس الأمارة صورة عن طبيعتها التي جُلبت عليها، والتي ذكرت في طبيعة الإنسان من الضعف والعجل، والكفر والخصومة والهلع والجزع والظلم، فإذا ردت النفس البشرية طبيعتها إلى ما يقوم سلوكها، ويهذبها، ويربها على الفضيلة والحق، صلحت، وصلاح الإنسان، فكان مثال الخلق الحسن والسلوك القويم.

إن حياتنا المعاصرة مشحونة بمظاهر التخلخل الاجتماعي، واهتزاز البنية الأخلاقية، وضعف الوازع التربوي والديني، وهي ظواهر أفرزتها حالة البعد عن المبادئ والقيم الأخلاقية التي أرسى السلام على قواعدها بنيانه، وأعلى صرحه بين أمم الأرض.

(١) الكشاف: ٦٥٩/٤.

(٢) الكشاف: ٧٥٢/٤.

ولقد كان المجتمع العربي الإسلامي بقيمه ومثله مثلاً عالياً في التعامل وحسن السلوك مع غيره من المجتمعات والناس. ومع نفسه، فكل فرد حريص على المحافظة على الأمة وعقيدها، ووجودها ومكانتها، ولكل فرد لبنة في الأسرة الواحدة، وكل أسرة وحدة من وحدات البناء الكبير، فحرص الفرد على تماسك البناء وسلامته تؤدي إلى حرص الجميع على تماسك المجتمع الكبير ووحدته، وسلامة نهجه في خضم الحياة. ولكن حين تزعزعت هذه القيم، وانفرد عقد نظام الأمة، ظهرت السلبيات الكثيرة في كيان الأمة، وأدت إلى تراجع القيم، وحلول الظواهر المخزية محلها، من سرقة ونهب وقتل وكذب، وزور، وغش في المعاملات، وحرص على الدنيا، وتكالب عليها .. وغيرها من الظواهر السلبية التي أكد الإسلام وتشريعاته بطلانها وحذر من الهبوط إليها، وشيوعها بين أفراد مجتمعه. ومن هنا نؤكد أن الأخلاق التي دعا إليها الإسلام بكتابه الكريم، وأحاديث النبي العظيم وجهود أئمة العلم والآداب والأخلاق والتربية هي التي ينبغي لها أن ترجع إلى مكانها في أصول التعليم والتربية وهي التي تأخذ المكان الأول في تنشئة الأجيال.

المبحث الرابع

القيم الاخلاقية عند الامام علي عليه السلام

وسنشير في هذا المبحث إلى بعض القيم الأخلاقية على ضوء كلام أمير القيم والأخلاق الامام علي عليه السلام.

التقوى والورع:

قال الإمام علي عليه السلام: التقى رئيس الأخلاق " وأكّد ذلك بقوله عليه السلام: أوصيكم بتقوى الله الذي ابتدأ خلقكم ". .

الحلم والعقل والتعقل:

قال عليه السلام: الحلم غطاء ساتر، والعقل حسام قاطع، فاستر خلل خلقك بحلمك، وقاتل هواك بعقلك "

الصبر والثبات وضبط النفس:

أي تقوية القدرة على تحمل المشاكل والبلاءات، قال الإمام علي عليه السلام: وعليكم بالصبر، فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه، ولا في إيمان لا صبر معه". .

رزانة الشخصية:

يقول عليه السلام: من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته". فعلى الإنسان أن يكرم نفسه عن الانزلاق في المفاصل المنبثقة عن جماح الشهوات، وإلا تردى ولم يحترم من أبناء مجتمعه ومحيطه، وإذا كان كذلك لم يسمع له رأي ولا يعرف له قول فعندها يكون باطن الأرض خير له من ظاهرها.

التواضع:

وهو من القيم الأخلاقية المهمة التي يتمكن من خلالها التغلغل إلى القلوب، حتى قلوب الأعداء، وذلك مما يكشف عن طيب السريرة وطلاوة النفس وحسن العشرة وإدامة الشكر لله تعالى على نعمه. ويقول عليه السلام: (وبالتواضع تتم النعمة) ويقول عليه السلام: واعلم أن الإعجاب ضد الصواب وآفة الألباب" فالذي يقدر نفسه تقديراً مبالغاً فيه، بحيث لا يرى إلا نفسه، فهو العالم وغيره الجاهل، وهو صاحب الرأي الحصيف وغيره لا رأي له، مثل هذا الشخص ستنفر عنه الناس وسيرى نفسه أنه يعيش لوحده في هذا العالم أو أنه الوحيد الذي يستحق العيش. ويقول عليه السلام: ولا وحدة أوحش من العجب" ويشير إلى خطر التكبر: فالله الله... وسوء عاقبة الكبر" وذلك لما في الكبر من المنافاة مع ذل العبودية والخضوع لله وَكَلِّك وكذلك للشعور بالاستقلالية وميول النفس إلى الأنانية.

احترام آراء الآخرين وحوارهم ومشاورتهم في الرأي:

من سبل اكتساب المعارف والنفوذ إلى القلوب، احترام أفكار الآخرين وآرائهم، والامتناع من أي شكل من أشكال الغرور والأنانية. ويقول الإمام عليه السلام: ولا مظاهرة أوثق من المشاورة" وفي كلام تحذيره عليه السلام له: من استبد برأيه هلك" .

حفظ كرامة الآخرين:

ينبغي لنا أن نلتزم مبدأ "كتم السر" عند مواجهة زلات الآخرين وأخطائهم، وينبغي الحفاظ على سمعتهم وكرامتهم، فنحفظهم في غيبتهم كما نحفظهم في حضورهم وننتصر لهم عند تعرضهم إلى ما يفضحهم ويحقرهم أمام الآخرين. يقول الإمام عليه السلام: فاستر العورة ما استطعت، يستر الله منك ما تحب" .

الكلام الطيب الصادق:

يرغب عليه السلام الجميع أن لا يسمعو من أحد كلاماً خبيثاً مرّاً، وأن لا يكونوا عرضة للسعات ألسن الآخرين. فهل عودنا ألسنتنا على التقوه بالكلام الحسن؟ وعلى أن لا

نجرح مشاعر الآخرين؟ إذا كنا نؤمن جميعاً بأدب الحديث فإلى أي مدى رعينا هذه القيمة الأخلاقية؟ يقول عليه السلام: المتقي بعيداً فحشه، ليناً قوله" ((وحين سمع من أنصاره من يسبون أعداءهم (جيش معاوية) نصحهم بمراعاة الأدب في الحديث حتى مع الأعداء، إذ قال عليه السلام: إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين" بل الإسلام دائماً ينصحنا بأدب الحديث والموعظة الحسنة والكلام الطيب لأنه هو الذي يرفع العمل الصالح إلى الباري (عز وجل) حتى يثبتته تعالى في ميزان الحسنات.

بشاشة الوجه :

ليس من صفات المؤمن أن يكون مقطب الجبين، حزين الوجه كئيباً، فإن ذلك ينفر الآخرين منه. لذلك يوصي الإمام عليه السلام الإنسان أن يكون مبتسماً فبالابتسام يدخل الإنسان إلى قلوب الآخرين. يقول عليه السلام: البشاشة حباله المودة" .

الجدية:

إن كثرة المزاح له آثار سلبية على المستوى النفسي للإنسان حيث يجعل الشخصية هزيلة ويقف حاجزاً أمام التفكير بالقضايا ومواجهتها بشكل جدي، بل له آثاره السلبية حتى في المجتمع، فصحیح أن المطلوب من المؤمن أن يكون بشوش الوجه مبتسماً ولكن ليس المطلوب أن يكون كثير المزاح هزلياً، فالحالة الأولى تشيع حالة من الراحة واللين في المجتمع وأما الحالة الثانية فقد تصل إلى أذية الآخرين والاستهزاء بهم وتوتير العلاقات الاجتماعية. وكم من الناس يحسب بمزاحه أنه يدخل السرور على الآخرين ولكنه في الحقيقة يدخل الحزن والأذى على قلوبهم.

العفو والصفح:

فكما نحب أن يغفر لنا الله تعالى، فلنغفر للآخرين، وكما نحب أن يغفر الناس لنا خطايانا، فلنغفر لهم، فكل بني آدم محتاجون للمغفرة الإلهية، وكلهم ضعيف بذاته محتاج للرحمة والتسديد الإلهي. يقول الإمام عليه السلام: فاعفوا: ألا تحبون أن يغفر الله لكم.

الصدق:

كل الناس يريدون أن يعاملوا بصدق، وكلهم ناقمون على الكذب، ولكن الصادقين قليلون. يقول الإمام عليه السلام والصق بأهل الورع والصدق " جانبوا الكذب فإنه بجانب الإيمان "

أداء الأمانة:

يقول عليه السلام عن أداء الأمانة، فقد خاب من ليس من أهلها "خصوصاً أن الله تعالى أمرنا بأداء الأمانة إلى أهلها بصريح آياته، لما في ذلك مندلالة على الإيمان والورع والخوف من الله تعالى.

الكرم:

فعلينا أن لا نبخل بما رزقنا الله من واسع رزقه، فالبخل آفة الآفات. يقول الإمام عليه السلام البخل جامع لمساوي العيوب " لأن البخل يسيئ الظن بالله تعالى وكأن الذي رزقه أول مرة غير قادر على أن يرزقه، وهو يخشى الفقر مع وجود هذه النعم الكثيرة عنده التي هي من الله تعالى أيضاً.

الإحسان:

إن صفة الإحسان والرغبة في القيام بتقديم الخدمات النافعة للآخرين لا تكتسب قيمتها إلا حينما لا تشوّه بعبادة المنّ، فالمنّ يؤلم القلوب ويحزنها ويثير الجفاء ويقضي على آثار الأعمال الحسنة. يقول عليه السلام : إياك والمن.. فإن المن يبطل الإحسان" (١).

(١) نهج البلاغة ، للإمام علي عليه السلام من ص ١٠ الى ٥٠ .

الخاتمة :

وبحمد الباري ونعمة منه وفضل ورحمه نضع قطراتنا الاخيره بعد رحلة عبر ثلاثة

مباحث بين تفكر وتعقل في موضوع البحث (القيم الاخلاقية عند الامام علي عليه السلام)

وقد كانت رحلة جاهده للارتقاء بدرجات العقل ومعراج الافكار عن هذا الامام الكريم

في اخلاقه ، فما هذا الاجهد مقل ولاندعي فيه الكمال ولكن عذرنا انا بذلنا فيه قصارى

جهدنا فان اصبنا فذاك مرادنا وان أخطئنا فلنا شرف المحاولة والتعلم ولا نزيد على

ماقال عماد الاصفهاني: رايت انه لا يكتب انسان كتابا في يومه إلا قال في غده لو

غير هذا لكان احسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان افضل ولو ترك

هذا لكان اجمل وهذا من اعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر

وأخيراً بعد أن تقدمنا باليسير في هذا المجال الواسع آملين أن ينال القبول ويلقى

الاستحسان..

لا نستطيع أن نقول... ونحن نختم هذا البحث . بأننا قد أحطنا بشخصية الإمام علي

بن أبي طالب (عليه السلام) فإن شخصية مترامية الأطراف بعيدة المدى لا يسع البيان

أن يسمو إلى أوج عظمتها ولكن الشيء الذي نستطيع أن نقوله: أخرجنا هذا البحث

الذي يعتبر كثرة مقتطفة من البحث المتواصل الدقيق الخالص والموصل إلى معرفة

الكثيرة من النقاط المهمة في حياة الإمام علي (عليه السلام) والكشف عن وقائع

ومواقف وآراء كثيرة ومهمة بحاجة إلى مطالعة وإحاطة بمفرداتها لأنها قراءة فكرية في

حياة الإمام (عليه السلام) التي كانت حياته . حسب إخراج المؤرخين . مليئة بالخير

للأمة وفي النهاية إن اغتيال الإمام (عليه السلام) دليل صارخ بتواجده (عليه

السلام) عملاً ونشاطاً دائماً في بعث الأمة وإنهاضها من جديد. فالإمام لم ينفرد ولم

يتخاذل عن قيادة الأمة ومتطلباتها في الكفاح.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصل اللهم وسلم على سيدنا وحبينا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم..

المصادر والمراجع

القران الكريم

- ١_ نهج البلاغة لسيدنا الامام علي بن ابي طالب عليه السلام.
- ٢_ غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) الناشر: مكتبة ابن تيمية الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.
- ٣_ الطبقات الكبرى، ابو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) المحقق: زياد محمد منصور، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ.
- ٣_ تاريخ دمشق ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- ٤_ تاريخ بغداد ، بو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) المحقق: الدكتور بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ٥_ أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن

الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) ، الناشر: دار الفكر - بيروت عام النشر:
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٦_ لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن
منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) ، الناشر: دار
صادر - بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٧_ تاج العروس، حمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض،
الملقّب بمرتضى، الزّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ، المحقق: مجموعة من
المحققين ، الناشر: دار الهداية

٨_ اساس البلاغة للزمخشري طبعة دار صادر ١٩٦٦ م

فهرس البحث

- المقدمة ١
- المبحث الاول : التعريف بالامام علي عليه السلام ٢
- المبحث الثاني : التعريف بالقيم الاخلاقية لغة واصطلاحاً..... ٤
- المبحث الثالث : تأثير القيم الأخلاقية والمثالية لرسول صلى الله عليه وسلم في ال بيته الاطهار.. ٨
- المبحث الرابع : القيم الاخلاقية عند الامام علي عليه السلام ٢٤
- الخاتمة ٢٨
- المصادر والمراجع..... ٣٠

